5 - السيدة هند بنت عتبة

نسبها

اسمها هند، والدها عتبة بن ربيعة، جاء إلى النبي ﷺ فتلا عليه آيات القرآن، وعاد إلى قومه ليخبرهم أن ما سمعه ليس بسحرٍ ولا شعرٍ ولا من كلام الكهان، ولكن سبق عليه القول، فقُتل مع أخيه شيبة وابنه الوليد يوم بدر مع رؤوس المشركين، والدتها صفية بنت أمية، وزوجها أبو سفيان بن حرب، وابنها معاوية بن أبي سفيان.

من صفاتها

عُرفت هند بالفصاحة والبيان، والجرأة وثبات الجَنَان، والثقة بالنفس، والاعتداد بالذات، والاعتزاز بالحسب.

كانت ذات مرة آخذة بيد ولدها الصغير معاوية، وهما يمشيان، فقيل لها: إن عاش ولدك ساد قومه، فقالت: ثَكِلْتُهُ إن لم يَسُدْ إلاَّ قومه!، ولما كبر معاوية قال عن أمه هند: إنها في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخير.

كان زوجها في الجاهلية فاكه بن المغيرة المخزومي، وكان له بيتٌ للضيافة يلجُهُ الناس دون استئذان، وذات مرة انصرف الضيوف، وانطلق زوجها لبعض حاجته، ولما خلا البيت رأت هند أن تخلد إلى الراحة، ثم غلبها النوم فنامت، وبينما هي نائمة حضر أحد الضيوف، ولما رآها نائمة ارتدَّ راجعاً على الأثر.

وصادف أن عاد زوجها ورأى الرجل يغادر بيت الضيافة وهي مستغرقة في نومها، فأقبل عليها وركلها بقدمه، فلما انتبهت سألها عن الرجل الذي

غادر البيت آنفاً، فردت بأنها لم ترَ أحداً، ولم تنتبه إلا حين نبَّهها، فسيَّرها زوجها إلى أهلها، ولما شاع الأمر بين الناس، وكثر الخوض في سيرتها، اتَّفق أبوها وزوجها على الاحتكام عند أحد الكهان اليمنيين المشهود لهم بالحكمة لكشف الحقيقة، وصحب كلٌّ منهما وفداً من قومه مع بعض النسوة الأخريات.

ولما وصلوا إلى مكان الكاهن، جلس النسوة بين يديه وهند بينهن، ونظر الكاهن إليهن ثم اقترب من هند، وقال لها: «انهضي غير رسماء ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية».

وعند ذلك قام زوجها يعتذر إليها، وسألها مرافقته إلى بيته، فردت عليه هند بأنفة وكبرياء، وقالت له: إليك عني، فوالله إني لأحرص أن يكون الولد من غيرك!.

هند ومحاربتها للإسلام

ثم تزوَّجت أبا سفيان بن حرب، واتَّفقت كلمتهما على معاداة رسول الله ﷺ ومحاربة المسلمين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، ولم يَدُرْ في خلدِ هند أنها مقبلة على كارثة تشيب لهولها الولدان قبل أن يحين الأوان.

وجاءت معركة بدر، وعزَّزت قريش جيشها بكبار زعمائها، وخيرة قادتها، وسوَّلت لها أوهامها أن القضاء على الإسلام قد بات قاب قوسين أو أدنى، ولكن خالق الرياح أجراها خلاف ما تشتهي سفن قريش حين تعرضت لهزيمة منكرة، لم تشهد مثلها الأحلام، وسقط كبراؤها صرعى بسيوف الإيمان، المؤيَّدة بجنود الرحمن.

كانت هند أعظم قريش فجيعة، حين نعوا إليها أباها، وعمها، وأخاها، ومما زاد في أساها إخفاق العائدين إلى مكة بعار الهزيمة في حمل جثث قتلاهم التي أمر رسول الله ﷺ بإلقائها في قليب بدر، وقد أطلق المصاب لسان هند فقالت ترثي أباها وعمها وأخاها:

أُبَكِّي عَمِيْدَ الأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِمَا وَحَامِيْهِمَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيْدُهَا

أَبِي عُتْبَةَ الخَيْرَاتِ وَيْحَكِ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالحَامِي الذِّمَارِ وَلِيْدُهَا
أُوْلَئِكَ آلُ المَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ وَفِي العِزِّ مِنْهَا حِيْنَ يَنْمِي عَدِيْدُهَا

وكانت هند بهذه الأبيات ترد على الخنساء حين رأت دموعها، وسألتها: من تبكين يا هند؟.

في غزوة أحد

وأقسمت هند على زوجها أبي سفيان ليثأرنَّ لها ولقتلى قريش جميعاً في بدر، وأخذت هند على نفسها العهد مع زوجها ألاَّ يألوا جهداً في تسعير نيران العداوة ضد المسلمين، حتى أمكن لقريش أن تحشد جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان، فيهم مئتا فارس أميرهم خالد بن الوليد، وخرجت هند مع بعض نساء المشركين إلى أُحد لتشجيع الرجال على القتال، كي لا يقعن سبايا في أيدي المسلمين، وكانت قد وعدت وحشيَّ بن حرب إن قتل لها حمزة بن عبد المطلب لَتُجْزِلَنَّ له العطاء.

وقبل أن يبدأ القتال أمر رسول الله ﷺ رماة المسلمين أن يقفوا في أعلى الجبل ويحموا ظهور إخوانهم، وألا يبرحوا مواقعهم مهما يكن سير المعركة لهم أو عليهم، وجعل أميرهم عبد الله بن جبير، وراحت هند بنت عتبة وصواحبها يضربن الدفوف ويهزجن:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ
إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ
فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

وكانت تتابع حركات وحشي، وهي تقول له: إيه أبا دَسْمَةَ! اشْفِ واشْتَفِ... وأمسك وحشي حربته، وأخذ يتحيَّن الفرصة المواتية ليسددها إلى هدفه حمزة، حتى إذا شعر أن ضربته لن تخيب، أطلق الحربة من يده، فانطلقت بسرعة البرق لتستقر في جسد أسد الله وأسد رسوله ﷺ، وتصيب منه مقتلاً، وسقط حمزة شهيداً بعد أن قضى على عدد من المشركين.

ورأت هند أملها يتحقق، وأسرعت إلى جثة حمزة وخنجرها في يدها، ثم أكبّت عليه تُمثِّل به أبشع تمثيل، فَجَدَعَتْ أنفه، وَصَلَمَتْ أُذنيه، ثم بقرت بطنه، واستخرجت كبده، وقضمت بأسنانها مضغةً منها، فلاكتها ثم لفظتها لأنها لم تُسِغْها، وملأ الدم فمها وغمر شفاهها، فبدت بأبشع مظاهر الوحشية.

وغادر وحشي أرض المعركة، ولم يعد بحاجة إلى القتال بعد أن فعل فعلته الشنعاء، وحقق لهند أعز رجاء.

وترك رماة المسلمين مواقعهم خلافاً لأوامر النبي ﷺ على الرغم من تحذير أميرهم لهم، فلما رأى خالد بن الوليد ذلك انقضَّ عليهم بجنوده من خلفهم، ورووا سيوفهم من دماء المسلمين، واستشهد مصعب بن عمير حامل اللواء، وحنظلة الغسيل، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع، وعبد الله ابن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح، وغيرهم.

وحلّت بالمسلمين هزيمة منكرة، وكُسرت رباعية رسول الله ﷺ، وشجَّ جبينه، وجرحت شفته، فجاء طلحة بن عبيد الله وحمله على ظهره ومضى به خلف صفوف المقاتلين حيث أحاطت به ثلة من الصحابة يحمونه من أي غدارٍ.

وحزن رسول الله ﷺ على عمه أشد الحزن، وخسر المسلمون معركة أُحد لأن رُماتهم خالفوا أوامر قائدهم وتركوا مواقعهم، فأحسن فارس قريش خالد بن الوليد استغلال الفرصة ليحقق النصر.

واعتلت هند إحدى التلال، وأخذت تنشد بأعلى صوتها:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ ... وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعُرِ
مَا كَانَ مِنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيْلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي ... حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي

ثم انتحت ناحية أخرى وقالت:

شَفَيْتُ مِنْ حَمْزَةَ نَفْسِي بِأُحُدْ حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَلَى الكَبِدْ
أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدْ مِنْ لَذْعَةِ الحُزْنِ الشَّدِيْدِ المُعْتَمِدْ

وخرج المسلمون من أُحد بدرسٍ بليغ، وعبرةٍ جليلةٍ، وعلموا أن طاعة القائد أول أسباب النصر، ولما كان رسول الله ﷺ هو القائد، فإن عصيانه عصيان لله، وكيف يُعْطَى النصر من عصا الله، وقد علموا أن النصر من عند الله؟.

لقد كانت جولة خسرها المسلمون، لكنهم عزموا على ألاَّ يكرِّروا ما حدث في أُحد، إن دين الإسلام لم يبتدعه أحد من الناس، ولكنه شرع الله القويم، أوحى به الله إلى رسوله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى سواء السبيل.

إسلامها بعد فتح مكة

وخرج رسول الله ﷺ بجند الإيمان يريد فتح أم القرى وتطهيرها من أرجاسها وأوثانها، ولما بلغت الكتائب المؤمنة مشارف مكة كان أبو سفيان واقفاً مع العباس وعدد من زعماء قريش فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً.

فقال العباس: إنها النبوة، يا أبا سفيان.

فقال أبو سفيان: نعم، إذاً، فماذا ترى؟

قال العباس: أرى أن تنجو بنفسك، وتسرع إلى رسول الله ﷺ فتعلن إسلامك.

روى أبو داود عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ.

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ،

فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»[1].

وانقلب أبو سفيان إلى قومه قبل أن يدخل جند الله إلى مكة، وأخذ يناديهم: يا قوم، ألا إني قد أسلمت فأسلموا، إن محمداً آتيكم بما لا قِبَلَ لكم به!

وصعقت هند حين سمعت ما يقوله أبو سفيان زوجها، فسارعت إليه تقول له: بئس طليعة القوم أنت! يا أهل مكة، اقتلوا هذا الهائج، قُبِّح من طليعة قومٍ!

فقال أبو سفيان: ويلكم! لا تغرنَّكم هذه بما تقول، فإنه سينزل بكم ما لا تطيقون!.

ولقد حُقَّ لأبي سفيان أن يفعل ذلك، فلقد حاول أن يصدَّ المسلمين ولكنه رأى ما لم تره هند، روى أبو داود عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتُ: وَاللهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ.

فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ، فَإِنِّي لأَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ! فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبُهُ.

---

(1) رواه: أبو داود/كتاب: الخراج والإمارة والفيء/باب: ما جاء في خبر مكة/برقم: (2626).

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ: «**نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**» قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ[1].

وأدركت هند بذكائها الفذ وبصيرتها النافذة أن باطل قريش قد آن له أن يزول، وأن الحق الذي جاء به محمد هو الأجدر بالبقاء، وجاءت إلى زوجها، وقالت له: خذني إلى صاحبك، فإني رأيت الذين يصلون معه في المسجد يعبدون إلهاً ما ينبغي لأحدٍ أن يعبد سواه، وأنا راغبة في اتِّباعه.

وكم سعد أبو سفيان بقولها! لقد همَّ بمرافقتها، ولكنه أعرض عن ذلك لأنه ذكر شناعة فعلها بعم رسول الله ﷺ حمزة يوم أحد، وأراد أن يتجنَّب الحرج الذي سيصيبه حين يعلم أن هنداً زوجه، واقترح عليها أبو سفيان أن تذهب ببعض قومها إلى رسول الله ﷺ عسى أن يصفح عنها ويعفو فهو أهلٌ لذلك.

وجمعت هند بعض النسوة ثم أتت إلى عثمان بن عفان بهنَّ، وقالت: ألا ترافقنا إلى رسول الله ﷺ، فإننا نريد أن نبايعه على الإسلام؟ قال: بلى، ودخل عثمان معهنَّ على رسول الله ﷺ وكانت هند متنقّبة مخافة أن يعرفها، ويأخذها بما صنعت في أُحد بعمه حمزة.

ولما مَثُلت هند أمام أكرم البشر، قالت: يا رسول الله، الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره وارتضاه، لتنفعني رَحِمُكَ يا محمد، إني آمنت بالله وصدقت رسوله... ثم حسرت النقاب عن وجهها، وقالت: هأنذي هند بنت عتبة.

وسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلام هند، واهتدائها إلى طريق الحق والإيمان، فقال لها: «**مَرْحَباً بِكِ**»، ثم بايعت هند وسائر النسوة رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه: أبو داود/كتاب: الخراج والإمارة والفيء/باب: ما جاء في خبر مكة/برقم: (2627).

كم هو عظيم هذا الإسلام الذي جعل رسوله يصفح عن أبشع جريمة فعلتها هند بعمه، فقد حقنت دمها بكلمة التوحيد.

روت هند الحديث عن النبي ﷺ، وكانت محافظة على دينها، وكانت يوم وفاة الصِّدِّيق على موعدٍ مع الموت، وفارقت الحياة، رحمها الله، ورضي عنها.

obeikandl.com